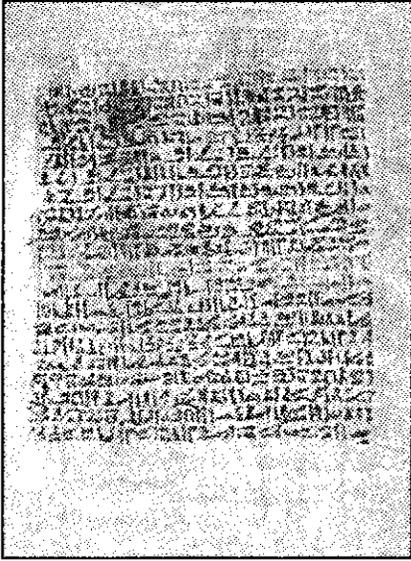


## الفصل السابع

### بعض الأمراض السرطانية والمستعصية

واجه الطبيب المصرى الكثير من الأمراض التى عرفها وأوجد العلاج لعظمها، وكافح بعضها وعجز عن علاج البعض الآخر، منها الحمى المعدية، والتسمم الدموى، والحمرة، والدوسنتاريا، والروماتيزم، والتهابات الغدة النكفية، والطاعون، والشلل، والجذام، والدرن والتيتانوس، وعسر الهضم، وسقوط المستقيم، وغيرها من الأمراض.



وذكرت البرديات بعض حالات السرطان التى واجهها الطبيب المصرى القديم منها السرطان المعدى أو سرطان القصبة الهوائية، وقد تم حديثا رصد ٣٩ حالة سرطان على المومياءات التى تم فحصها. «إذا فحصت إنسانا مصابا بسدة فى معدته وإذا دخل معدته شىء تألم، فإذا تناول طعاما ضاقت الفتحة ويشكو المريض من ألم فى رجليه وإليته. وإذا ذهب إلىه ووجدت معدته تغيرت وانكمش وجهه، فقل: إنه مصاب بسدة صديدية... اذهب إليه ولا تتركه». وهى توصية تعكس إنسانية عالية واهتماما بالغاً بالمريض.

وتذكر بردية إيببرز أيضا وصفا لسرطان الرحم:

«وهذه واحدة أخرى لديها تأكل فى الرحم

وظهرت التقيحات على المثانة».

ودرايته بالأورام الصدرية مثبتة بهذه الكلمات: «إذا فحصت صدر رجل به أورام، وتتحسس هذه الأورام فتجدها باردة، وعند لمسه لا تجد لديه حرارة. ولا توجد أية حبيبات فى هذه الأورام أو سائل أو إفراز يخرج منها، فيجب أن تقول إنه مصاب بأورام، يجب ألا أقربها». ولكن ليست كل الأورام سرطانية، فتعرف الطبيب المصرى إلى معظمها وعالج كما كبيرا ومتنوعا منها.

وعالج الطاعون الدملي الذي وصفه: «إذا فحصت مصابا بالقشعريرة التي دامت ساعات كالتقيح الملتهم، وبالضعف كإنسان في آخر أنفاسه، فقل إن ذلك نتيجة احتباس تجمعات لا يمكن إخراجها ولا تخضع للعلاج البسيط، إن هذه التجمعات أحدثت دملا تعفن فيه الصديد، وإن المرض قد تمكن من المريض، اعمل له الوسائل لفتحه بواسطة الأدوية».

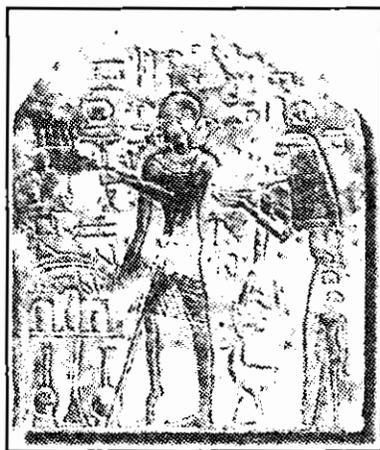
كما أن مرض النقرس ذكر في البرديات: «...علاج إصبع القدم إذا كان مؤلماً». وقد اكتشف النقرس gout في جثة رجل بجزيرة فيلة بها أملاح راسبة فوق العظام المشطية لأصابع القدمين وفوق عظمتي الساقين والشظيتين والأوتار الخلفية للساقين وعظام اليدين والذراعين.

وكان الطبيب يعد مزيجاً من مغرة صفراء، ملح نظرون، سرخس، مغرة حمراء حب دشر، ليضمد به إصبع القدم إذا مرضت.

وقد وصف الطبيب بدقة بالغة أعراض القلب المريض: «إذا قمت بفحص مريض بمرض في المعدة ويتألم من ذراعيه وصدرة وجانبها من معدته، فإنك تقول الموت يهدده... صف له أعشاباً علاجية منبهة»، عرف الطبيب المرض بكلمة «از»، ويوصى الطبيب بوضع يده على ذراع المريض حتى تزول آلامه، أى أن المرض تسرب للشرح والمستقيم، ولا يكرر الدواء اطلاقاً.

واعتبر الطبيب حالة النزف المعدى مرضاً مستعصياً «إذا فحصت سدته فى فم معدته، ووجدته قد تغير واجتاز البرزخ إلى الآخرة، ففقد ذاكرته وجف فم معدته، فقل عنه إنه مصاب بتجمع دموى لم يلتصق، أزله بالعلاج: حضر له سعم، صنوبر، سبستان، شاشا والريانا، تغلى معا فى بيرة ويشربها الإنسان، عندئذ يخرج من فمه أو من دبره ما يشبه دم الخنزير المشوى.

ويذكر من الأمراض العديدة المستعصية الشلل الذى أصاب الكثيرين مثل سبتاح، القرن ١٤ ق. م، وهى عدوى فيروسية تصيب النخاع الشوكى، ويدخل الفيروس الجسم مع الطعام ويخرج مع البراز.



وعاصر الطبيب الحمى التيفودية، والتيفوس ووباء الإنفلونزا والملاريا لكثرة البعوض والناموس. كما واجه حالات نسيان وتوهان العقل وإصابة العقل، وعالج الحمى الصفراء بعد أن قرن بينها وبين الكبد.

والمرض الآسيوى مرض مستعصٍ لدى الطبيب لذا لجأ إلى درته عن الإنسان بالرقى معلنا بذلك عدم معرفته به: «من الذى يعرف مثل الرمز رع؟ من الذى يعرف مثله؟ هذا الرمز الذى يملأ الجسم بالفحم إلى أن يموت، وكما أن ست سحر البحر، فست سوف يسحرك، ست هو رمز العواصف والتقلبات الجوية.

أيها المرض الآسيوي لا تدخل، لا تدخل جسم فلان ابن فلان. تتلى هذه الرقية أربع مرات على زيت طازج وعلى خبز القدح، وهو خبز يوضع فى قدح ثم يخبز، سوف تطرده بذلك، ويعمل حجاب شتوت».

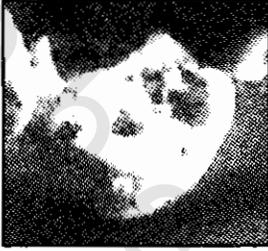
ويلجأ الإنسان عادة إلى مثل هذا التصرف إعلانا عن عدم قدرته أو لمحدودية أداؤه تجاه موقف ما، فيستنجد بالقوى العليا الخفية فى حالة المصرى القديم الذى استشعر وجود قدرات الخالق بحسه وعقله.

لقد شخص الطبيب ببراعة العديد من الأمراض وحدد إمكانية علاج بعضها وعدم إمكانية علاج البعض الآخر، وكان محركه الأول الضمير والرغبة فى تخفيف الألم، وورد ببردية سميث حالة حددها الطبيب بمرض لا يعالج، ولكن الملابس أثار انتباهه وذكرها: «إذا فحصت شخصا عنده فقرة مهشمة فى عنقه، ووجدت هذه الفقرة سقطت فى أخرى وهو فاقد الصوت ولا يمكنه أن يتكلم، فإن سقوطه ورأسه لأسفل هو الذى تسبب فى تهشم فقرة فى الفقرة التالية، فإذا وجدته فاقد الوعى بذراعيه ورجليه بسبب ذلك، فيجب عليك أن تقول عنه... هو مرض لا يعالج». ولم تذكر أية رقية لمثل هذه الحالات فالعلم وحده هو المحرك هنا أمام الشواهد المادية الملموسة.

وتصدى الطبيب لحالتى خلع وكسر بعظمتى الترقوة، فكافح لعلاج الحالة الأولى واعتبر الثانية ميئوسا منها: «إذا فحصت شخصا عنده خلع فى عظمتى ترقوته ووجدت كتفيه مقلوبتين ورأسى عظمتى ترقوته مقلوبين نحو وجهه... يجب عليك أن تردهما حتى يرجعا لمكانهما، ثم ربطهما بلفائف كتانية صلبة، ثم عالجه بالدهن والعسل حتى يشفى. وإذا وجدت عظمتى ترقوته مصحوبتين بتمزق الأنسجة الرخوة التى عليها، وهما نافذتان للداخل، فيجب عليك أن تقول عنه أنه مرض سوف أعالجه» ووردت فقرة نفسيرية يقدمها الطبيب المعلم لشرح خلع عظمتى الترقوة التى أطلق عليها العظمة المنجلية: يكون رأساهما متصلين بأعلى عظمة صدره وواصلين لحنجرته الذى يكسوه لحم مقدم الصدر، وهناك وعاءان تحته واحد على اليمين وواحد على يسار الحنجرة وصدره وهما ذاهبان إلى رثتيه». وصفا تشريحيًا دقيقًا للمنطقة الداخلية للصدر. «إذا فحصت شخصا عنده كسر فى عضده ومصابا بجرح فوقه، ووجدت هذا الجرح يقطق تحت أصابعك... هو مرض سأكافحه، وتقابله حالة أشد: «إذا وجدت الجرح فوق الكسر ينزف دما وأنه وصل إلى داخل إصابته، وشخص الطبيب المعلم بأنه كسر بالعضد وفوقه جرح وخزى لا يعالج.

ومن الحالات المستعصية التى واجهها الطبيب المصرى القديم العيوب الخلقية كما ورد على جنين عثر عليه فى مقبرة توت عنخ آمون، واستدل بالفحص على إصابته *spinal bifida* أو انقسام فى العمود الفقرى.

كما تم الاستدلال على حالات تشوه فى القدم clubfoot، واستسقاء فى الرأس hydrocephalus، وبخلاف الجدرى عانى المصرى من البلهارسيا، التى عثر على آثارها على العديد من المومياوات، وكذلك الدرن الذى أمكن تتبعه منذ عصور ما قبل التاريخ، وهو مرض ينتقل من الحيوان إلى الإنسان.



فقرة من فقرات أحد الأطفال تظهر عليها أعراض الدرن

وصف الطبيب فى بردية إيبزر حالة قد تكون طبقاً لـ د.حسن كمال، حالة مرض بالظهر ربما درن بالعمود الفقرى: «إذا فحصت شخصاً لمرضه بقم معدته ووجدت ظهره كالملدوغ من عقرب أو ما شابه، فقل إن التقيح أتلغ ظهره، وإن هذه الحالة أعالجها بالأدوية للظهر، لازمه ولا تتركه: حضر له خمتمو الزسفو، وبعد ذلك أعطه الأدوية: آس. نيويو، عصير السنط، جبس البناء، المكون آنذاك من hydrate calcium sulfate وشوائبه وهى رمل وكربونات الجير وكربونات المانيزيا وأكسيد الحديد والألومنيوم، اصحن واغلى فى حثالة البيرة، ضمه بذلك لمدة أربعة أيام حتى يشفى تماماً».

وقد أظهرت مومياة أحد الأطفال عيباً خلقياً نادراً وهو تحجر العظام المعروف بـ Osteoporosis.

وتم تصوير حالة سيدة مصابة بتشوه خلقى ناتج عن مرض يصيب النخاع الشوكى، من الأمراض التى عرفت لدى المصرى القديم وهو لإحدى السيدات العاملات.

ومن التشوهات الخلقية العديدة التى عايشها المصرى ما يصيب الأقدام الذين تم نقش أشكالهم وتجسيدهم من خلال بعض التماثيل، وكان الأقدام مقبولين فى الحياة الاجتماعية المصرية بصورة طبيعية. وتزوج القزم من امرأة طبيعية وأنجب أبناء طبيعى التكوين. وبفحص مومياة ترجع للأسرة الثانية عشر، وجد أنها مصابة بالتهاب تشوهى بالعمود الفقرى فى الجزء الأمامى من الفقرتين التاسعة والعاشرتين الصدريتين.



صورة لأحد الأقدام

كما استدل على المرض osteo arthritis و spondilitis deformans. فى النتوء الخلفى لبعض الفقرات.

وواجه الطبيب أيضاً قروح الفراش التى استدل عليها فى إحدى المومياوات التى ترجع إلى الأسرة ٢١، والقروح منتشرة فى منطقة الظهر، وخلف إحدى الرجلين.



قزم مقزوم من سيدة طبيعية التكوين  
وأنجبا أبناء سليمى البنية



مومياء رمسيس الخامس، ١٩٢٥ ق. م.  
حيث تظهر عليه آثار مرض الجدري،  
ومن المرجح أنه توفي بهذا المرض

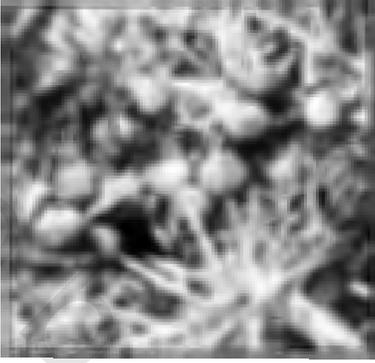
وأبرز فحص بعض المومياوات وجود طفيليات  
Schistosomiasis، كما تم رصد حالات مرض فيروسى  
ينقله الحيوان إلى الإنسان Smallpox أو الجدري الذى  
أظهرت مومياء رمسيس الخامس آثاره على الوجه.  
وبفحص المومياء وجد العديد من البكتيريا بطبقات  
الجلد بالرغم من مرور الزمن، وعثر على حليمة متفصصة  
على الجلد.

وعثر على بعض حالات شلل الأطفال، ولكن التهاب  
المفاصل كان أكثر شيوعا ويصيب مفاصل الركب التى  
اجتهد الطبيب فى وصف الدهون اللازمة لتخفيف آلام  
هذه المفاصل، وعثر فى معظم المومياوات التهابات مفصلية  
مزمنة تصيب الأنسجة الليفية حول المفاصل وتتطور لتحدث  
تلفا بالعضاريف، وعادة ما يصحبه بؤرة صديدية بالأسنان  
أو الأمعاء.

وواجه الطبيب بعض الحالات الحرجة الأخرى  
والتى أوصى بعدم المساس بها منها حالة دوالى وريدية  
varicose veins «إذا وجدت بالجلد بأى عضو تعرجات  
ثعبانية مليئة بهوائها، والمشار اليه هنا هو الدم، فقل إنه  
نتيجة عدو الوعاء، لا تضع يدك على شىء مثل هذا،  
تنقلب الحالة رأسا على عقب».

وحالة الإنفريزما الشريانية الوريدية: «إذا فحصت  
ورما بالأوعية بالطبقات الجلدية لأى عضو ومظهره يكبر  
لالتفافه كالحية، وأوعيته كونت عقدا كالشئ المنفوخ  
هواء، لا تضع يدك على هذا الشئ، فإن ذلك يضر عضو  
الإنسان». ووصف الطبيب العلاج مع الرقية المصاحبة  
والذى يحدث النبض فى هذه الأعضاء.

ولكن الإصابة بالتيتانوس تمثل للطبيب استحالة فى العلاج، وقد ذكرت الحالة: «إذا أصيب  
أحدهم بجرح غائر فى المخ واصل حتى العظم، وتطور الجرح وأصبح فمه مزموما وعنقه به تيبس  
وأصبح لديه تيه، فإنك تقول هذا مرض يجب ألا أعالجه».



فاكهة العرعر التي أكثر المصريين استعمالها في مستحضرات متنوعة ولأغراض عديدة



تمثال للملك منتوحتب معروض بالمتحف المصري بالقاهرة، وقد عُثر عليه في الدير البحري. ويلاحظ ضخامة الأطراف السفلية وربما يكون مصابا بداء الفيل. ويرجع للأسرة ١١، القرن ٢٢ ق. م.

وواجه حالات الصرع بشجاعة ووصف العلاجات المهدئة لحالات الصرع ونوباته: «لطرده الصرع من العينين: بسباسا، برسيم حلو، ظايس، بييرة عذبة، يصفى ويأخذه الشخص المصاب بالصرع». وعلاج آخر لطرده الصرع من الإنسان: عود الرقة، خردل، فاكهة العرعر، خسييت، فاشرا، يمزج معا ويؤخذ. ومن الحالات التي اقتضت من الطبيب الكثير من الثقة هي مواجهته لتجاعيد الوجه باستحضاره للمركبات التي تزيل أسارير الوجه على حد تعبيره.

ويستهل الطبيب وصفاته في بردية سميث بهذا العنوان الشيق: «بدء كتاب تحويل الشيخ إلى شاب: أحضر مقدارا كبيرا من الفاكهة، هماييت، ربما الحلبة، وشقها وعرضها للشمس، فإذا جفت تماما، قشرها كما يقشر الحب ودرها حتى تبقى الفاكهة، كيل كل ما يتحصل عليه من ذلك، ثم انخله بطريقة المنخل، كيل بالضبط كل ما ينتج من هذا وقسمه قسمين، أحدهما مكون من هذه الفاكهة والآخر كذلك، عالج كل قسم كالآخر.

ثم يذكر الطبيب بدقة بالغة الخطوات الإرشادية لغسل وتبخير الفاكهة: «خذ القسم الأول، وامزجه بالماء، حوله إلى مادة طرية، وضعه في إناء جديد على النار، اطبخه جيدا، وتأكد من غليانه، اجعله يتبخر حتى يجف دون أن تتبقى فيه رطوبة، ثم أخرجه من الإناء، وبعدها يبرد، ضعه في إناء آخر لتغسله في النهر. اغسله جيدا، وتأكد من غسله بتذوق طعم الماء الذي بالإناء حتى يختفي أثار المرارة فيه. ضعه بعد ذلك في الشمس ثم انثره على كتان الغسال، وبعدها يجف اطحنه في طاحون حجري».

«اجعل القسم الثانى فى ماء ، اجعل ما يشبه مادة طرية وضعه فى جرة على النار، اصحنه جيدا وتأكد من غليانه حتى تفور رغوته منه ، استخرج المادة الموجودة بالإناء وغطسه بمغرفة. وبعدما يتحول إلى مادة يشبه قوامها الطين، ضعه فى إناء هن، استخرج المادة وانشرها على قماش من الكتان على فوهة هذه الجرة، بعد ذلك ضع هذه المادة فى إناء مصنوع من حجر ثمين».

ويوصى الطبيب بتعليمات خاصة للاستعمال: «ادهن الشخص فهو يزيل أسارير الرأس، فإذا دهن اللحم به، فإنه سيجمل البشرة، ويزيل الشوائب، وكل التشوهات وكل أعراض الشيخوخة وكل أنواع الضعف الموجودة باللحم، وجد ناجعا ملايين المرات».

ويستعمل حاليا البوتكس والليزر لعلاج آثار التجاعيد وإزالتها.



يرجع هذا الإناء إلى عصور ما قبل التاريخ، وقد شكل من الطفلة النيلية على شكل الحرف الهيروغليفي الذى يعنى كلمة احضر، ويرجع الإناء إلى ٣٧٥٠ ق. م، نقادة الأولى. ويحفظ هذا الإناء حاليا بمتحف المتروبوليتان